رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

أساطير صوفية(١)

القطب وأعوانه

أسطورة تَنْزِعُ إلىٰ تجريد الذات الإلهية من الربوبية والإلهية، وخلعهما علىٰ وَهْم خرافي سمي في الفلسفة: «بالعقل الأول»، وفي المسيحية: «بالكلمة»، وفي الصوفية: «بالقطب»، وهو عندهم أكمل إنسان متمكن في مقام الفردية، أو الواحد الذي هو موضع نظر الله في الأرض في كل زمان، عليه تدور أحوال الخلق، وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد، ويُفيض روح الحياة علىٰ الكون الأعلىٰ والأسفل، وقد يسمىٰ الغوث باعتبار التجاء الملهوف إليه(٢).

وللقطب عند الصوفية معنيان: هذا أحدهما: يقول القاشاني:

(وهو إما قطب بالنسبة إلىٰ ما في عالم الشهادة من المخلوقات، يستخلف بدلًا منه عند موته من أقرب الأبدال منه، فحينئذ يقوم مقامه بدل هو أكمل الأبدال، أو قطب بالنسبة إلىٰ جميع المخلوقات في عالم الغيب والشهادة، ولا يستخلف بدلًا من الأبدال، ولا يقوم مقامه أحد من الخلائق، وهو قطب الأقطاب المتعاقبة في عالم الشهادة، لا يسبقه قطب ولا يخلفه آخر، وهو الروح المصطفوي المخاطَب بلولاك لما خلقت الكون)(٣).

---

(١) العدد ٣ لشهر ربيع الأول سنة ١٣٧٥هـ.

(٢) انظر: جامع الأصول للكمشخانلي، والتعريفات للجرجاني تحت مادة «قطب».

(٣) (صـ١٠٣/ جـ٢) كشف الوجوه الغر للقاشاني، وقد ادعىٰ ابن الفارض أنه قطب الأقطاب:
=

فالقطب بالمعنىٰ الأول: حِسِّيٌّ أو حادث، وبالمعنىٰ الآخر معنوي أو قديم وهو الحقيقة المحمدية.

مرتبة القطب وعلمه:

يقول صوفي تيجاني وهو يتحدث عن مراتب الرجال: (الثالثة مرتبة القطب، وهي في غيب الغيب مكتومة لا تذكر، ولا يعرفها إلا صاحبها، وهو القطب الجامع، ومما أكرم الله به قطب الأقطاب أن يعلم علم ما قبل وجود الكون وما وراءه وما لا نهاية له، وأن يُشهده الذات بعين الذات، وأن يعلمه علم جميع الأسماء القائم بها نظام كل ذرة من جميع الموجودات وهي الأسماء العالية، وأن يخصصه بأسرار دائرة الإحاطة وجميع فيوضه، وما احتوىٰ عليه)[1].

خصوصية القطب:

(قطب الأقطاب في كل وقت منذ جلوسه علىٰ كرسي القطبانية، لا تقع بينه وبين رسول الله حجابية أصلًا، وحيثما جال رسول الله من حضرة الغيب، ومن حضرة الشهادة، إلا وعين قطب الأقطاب، متمكنة من النظر إليه، لا يحتجب عنه في كل لحظة من اللحظات)[2].

=

فبي دارت الأفلاك، فاعجب لقطبها الـ محيط والقطب مركز نقطة
ولا قطب قبلي عن ثلاث خلفته وقطبية الأوتاد عن بدلية

(١) (صـ٧٩/ جـ٢) جواهر المعاني.

(٢) ص(٦٣) المصدر السابق.

حقيقة القطب:

(ويشرح لنا كاهن التيجانية الأكبر أبو العباس أحمد(١) حقيقة القطبانية، فيقول: (إن حقيقة القطبانية هي الخلافة العظمىٰ عن الحق مطلقًا في جميع الوجود جملة وتفصيلًا، حيثما كان الرب إلهًا كان هو خليفة في تصريف الحكم وتنفيذه في كل من له عليه ألوهية لله تعالىٰ، ثم قيامه بالبرزخية العظمىٰ بين الحق والخلق، فلا يصل إلىٰ الخلق شيء كائنًا ما كان من الحق إلا بحكم القطب، وتوليه ونيابته عن الحق في ذلك، وتوصيله كل قسمة إلىٰ محلها، ثم قيامه في الوجود بروحانيته في كل ذرة من ذرات الوجود جملة وتفصيلًا؛ فترىٰ الكون كله أشباحًا لا حركة لها، وإنما هو الروح القائم فيها جملة وتفصيلًا وقيامه في أرواحها وأشباحها، ثم تصرفه في مراتب الأولياء، فيذوق مختلفات أذواقهم، فلا تكون مرتبة في الوجود للعارفين والأولياء خارجة عن ذوقه، فهو المتصرف في جميعها، والممد لأربابها، به يُرْحم الوجود، وبه يفيض الإفادة علىٰ جميع الوجود، وبه يبقىٰ الوجود في حجاب الرحمة واللطف، وبه يبقىٰ الوجود في بقاء الوجود رحمة لكل العباد، وجوده في الوجود حياة لروحه الكلية، وتنفس نفسه يمد الله به العلوية والسفلية، ذاته مرآة مجردة

---

(١) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد الشريف التجاني شيخ الطريقة التجانية ومؤسسها، ولد بعين ماضي بالجزائر سنة (١١٥٠هـ) ونشأ بها، توفي سنة (١٢٣٠هـ).
له مصنفات منها: «السر الأبهر في أوراد القطب الأكبر»، و«جوهرة الحقائق في الصلاة علىٰ خير الخلائق» وغيرهما، وله أوراد وأحزاب مقررة علىٰ أتباع الطريقة جمعها صاحبه علي حرازم برادة في «جواهر المعاني». [انظر: الأعلام (١/ ١٤٥)، ومعجم المؤلفين (٢/ ١٤٣)]. (ض).

يشهد كل قاصد فيها مقصده)(١)... وحسبك هذا عن تلك الأسطورة(٢) التي أَلَّهَتْها الصوفية، وجعلت منها ربًّا أكبر يُعْبد، ويُخْشَىٰ، ويُرْهَب!!

أعوان القطب:

أولًا: الإمامان، وهما بمنزلة الوزيرين له، أحدهما لعالم الملكوت والآخر لعالم الملك.

ثانيًا: الأوتاد الأربعة(٣)، وقيل: هم ثلاثة كلما مات قطب الوقت، أقيم مكانه واحد منهم، ويزعمون لهم أنهم إذا ماتوا فسدت الأرض، وأنهم يأخذون الفيض من قطب الأقطاب.

ثالثًا: الأبدال، والبدل حقيقة روحانية تجتمع إليها أرواح أهل ذلك الموطن الذي رحل عنه ذلك الولي، فإن ظهر شوق شديد من أناس ذلك الموطن لهذا الشخص،

---

(١) ص(٨١) وما بعدها جواهر المعاني.

(٢) كتبنا عنه مقالًا ضافيًا في مجلة الهدي النبوي فراجعها(*)، والعجيب أن ابن الحاج - وله سابقة في محاربة البدعة - يؤمن بهذه الأسطورة، ويصفه في كتابه المدخل: (إن الله تعالىٰ يديره في الآفاق الأربعة من أركان الدنيا كدوران الفلك في أفق السماء) انظر صـ(٣٢٨) مشتهىٰ الخارف الجاني لمحمد بن الخضر بن عبد الله الجكني الشنقيطي. وهكذا تقتل الصوفية بخداعها كل من يظن بها ظنًّا واحدًا من خير.

(*) قلت: - محمد -: لعل الشيخ يقصد مقالاته التي بعنوان: القطب عند الصوفية ص(١٥٩ - ١٨٥).

(٣) الأوتاد الأربعة علىٰ أركان البيت في دين الصوفية، كل واحد منهم علىٰ ركن منه، ويكون كل واحد علىٰ قلب نبي، فالذي علىٰ قلب آدم له الركن الشامي، وعلىٰ قلب إبراهيم العراقي، وعلىٰ قلب عيسىٰ اليماني، وعلىٰ قلب محمد صاحب ركن الحجر الأسود!

تجسدت لهم تلك الحقيقة الروحانية التي تركها بدله، فكلمتهم، وكلموها، وهو غائب عنهم. وعدد الأبدال أربعون، اثنان وعشرون بالشام، وثمانية عشر بالعراق!!

رابعًا: النجباء. وهم دون الأبدال ومسكنهم مصر!! وهم المشتغلون بحمل أثقال الخلق، وعددهم سبعون!!

خامسًا: النقباء، وعددهم ثلاثمائة، وقيل خمسمائة، وهم الذين استخرجوا خبايا الأرض⁽١⁾.

تلك هي مملكة الأساطير، ابتدعتها خرافات الصوفية الحمقىٰ، وخيالاتهم المخبولة، ليستعبدوا الخلق لما يشتهون، وليجعلوا منهم أحلاس رهبة منهم، وخوف مذعور؛ تلك هي المملكة التي وضعتها الصوفية مقابل ملكوت الله!! وكل صوفي بها يؤمن ويدين. ترىٰ ماذا بقي لله وملائكته ورسله؟!

خاتم الأولياء.

فضلت الصوفية الولاية علىٰ النبوة، وكما جعل الله للنبيين خاتمًا، جعل الصوفية للأولياء خاتمًا، والعنكبوت الذي نسج اللعاب الأول من هذه الأسطورة هو الحكيم الترمذي⁽٢⁾.

---

(١) انظر صـ(٣٢٨) وما بعدها مشتهىٰ الخارف الجاني، صـ(١٠٤) من: «كشف الوجوه الغر» للقاشاني.

(٢) هو محمد بن علي بن الحسن بن بشير «أو بشر» الترمذي المعروف بالحكيم، وهو غير صاحب السنن عاش إلىٰ حدود العشرين بعد الثلاثمائة.

قلت (محمد):- قال عنه شيخ الإسلام: «في هذا الكتاب من الكلام الباطل ما يُعلم فسادُه بالاضطرار من دين الإسلام؛ وهو الذي فتح الكلام في ختم الأولياء». [الصفدية (١/ ٢٤٨)]. (ض).

قال السلمي: (نفوه من ترمذ، وشهدوا عليه بالكفر بسبب تصنيفه كتاب ختم الولاية، وكتاب علل الشريعة، وقال: إنه يقول: إن للأولياء خاتمًا كما أن للأنبياء خاتمًا وأنه يفضل الولاية علىٰ النبوة، فجاء إلىٰ بلخ، فقبلوه بسبب موافقته إياهم علىٰ المذهب»(١).

ويقول ابن تيمية: (في كلامه من الخطإ ما يجب رده، ومن أشنعها ما ذكره في ختم الولاية، مثل دعواه فيه أنه يكون في المتأخرين مَنْ درجته عند الله أعظم مِنْ درجة أبي بكر وعمر وغيرهما...

ومنها: أنه ذكر في كتابه ما يشعر أن ترك الأعمال الظاهرة - ولو أنها التطوعات المشروعة - أفضل في حق الكامل ذي الأعمال القلبية.

ومنها: ما ادعاه من خاتم الأولياء الذي يكون في آخر الزمان، وتفضيله وتقديمه علىٰ من تقدم من الأولياء، وأنه يكون معهم كخاتم الأنبياء مع الأنبياء)(٢).

وتوالت عناكب الصوفية علىٰ هذه الأسطورة تتم نسج ثوبها المهلهل.

قال ابن عربي في الفصوص - وهو يتحدث عن علم وحدة الوجود -: (وليس هذا العلم إلا لخاتم الرسل وخاتم الأولياء، وما يراه أحد من الأنبياء والرسل إلا من مشكاة الرسول الخاتم، ولا يراه أحد من الأولياء إلا من مِشْكاة الولي الخاتم، حتىٰ إن الرسل لا يرونه - متىٰ رأوه - إلا من مشكاة خاتم

---

(١) (صـ١٧٠/ جـ٢) مفتاح السعادة لطاش كبرىٰ زاده، طبع حيدر أباد بالهند.

(٢) ص(٥٩) وما بعدها رسالة: «حقيقة مذهب الاتحاديين، أو وحدة الوجود» لشيخ الإسلام ابن تيمية، طبع المنار.

الأولياء، فإن الرسالة والنبوة - أعني: نبوة التشريع - تنقطعان، والولاية لا تنقطع أبدًا، فالمرسلون من كونهم أولياء، لا يرون ما ذكرناه إلا من مشكاة خاتم الأولياء، فكيف مَنْ دونهم من الأولياء؟)(١).

تفضيل خاتم الأولياء على خاتم النبيين:

لقد زعم ابن عربي في النص الذي نقلناه آنفًا: أن الرسل جميعًا لا يستمدون أشرف علومهم - وهو العلم بالله وصفاته وأسمائه - إلا من علم خاتم الأولياء، وها هو يفضله علىٰ خاتم النبيين بخاصة، فيقول: (ولما مثل النبي ﷺ النبوة بالحائط من اللَّبِن، وقد كَمُلَ سوىٰ موضع لبنة، فكان ﷺ تلك اللبنة، غير أنه ﷺ لا يراها إلا كما قال لبنة واحدة(٢)، وأما خاتم الأولياء فلا بد له من هذه الرؤيا، فيرىٰ ما مثله به رسول الله، ويرىٰ في الحائط موضع لبنتين - واللبن من ذهب وفضة - فلا بد أن يرىٰ نفسه تنطبع في موضع تينك اللبنتين، فيكون خاتم الأولياء تينك اللبنتين، فيكمل الحائط... كما هو آخذ عن الله في السر ما هو بالصورة الظاهرة متبع فيه؛ لأنه يرىٰ الأمر علىٰ ما هو عليه، فإنه آخذ من المعدن

---

(١) (صـ٦٢/ جـ١٠) فصوص بتحقيق الدكتور عفيفي.

(٢) يشير إلىٰ قول النبي ﷺ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنبِيَاءِ من قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَىٰ بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ من زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ الناس يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ له وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هذه اللَّبِنَةُ قال فَأَنَا اللَّبِنَةُ وأنا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ». أخرجه البخاري، واللفظ له، كتاب: المناقب، برقم: (٣٥٣٥)، ومسلم، كتاب: الفضائل، برقم: (٢٠/ ٢٢٨٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي به إلىٰ الرسول)(١).

يعني أن خاتم الأولياء يأخذ علمه عن الله مباشرة، أما الرسل جميعًا فيأخذون علمهم عن الله بواسطة الملك.

وابن عربي يشير بقوله ذلك إلىٰ الحديث الصحيح الذي مثل فيه رسول الله ﷺ ما بعث به هو والأنبياء من قبله ببيت كانت تَنْقُصُه لَبِنَة، وأنه هو الذي جاء بتلك اللبنة يعني أنه هو الذي أتم الله به علىٰ المسلمين دينهم.

ولكن ابن عربي يزعم أن الدين كان ناقصًا لبنتين، فأتىٰ محمد بواحدة، وأتىٰ خاتم الأولياء بهذه وبلبنة أخرىٰ، فلم يتم دين الله إلا علىٰ يد خاتم الأولياء!!

أين هذا من قول الله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣].

ادعاء كل شيخ هذه المرتبة:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (ثم إن هذا خاتم الأولياء صار مرتبة موهومة، لا حقيقة لها، وصار يدعيها لنفسه، أو لشيخه طوائف، وقد ادعاها غير واحد، ولم يدعها إلا مَنْ في كلامه من الباطل ما لم تقله اليهود ولا النصارىٰ، كما ادعاها صاحب الفصوص.

ويدعي هؤلاء وأمثالهم من الأمور ما لا يصلح إلا لله وحده، كما قد يدعي المدعي منهم لنفسه أو لشيخه ما ادعته النصارىٰ في المسيح)(٢).

---

(١) ص(٦٣) المصدر السابق.

(٢) ص(٦٣) وما بعدها، رسالة: «حقيقة مذهب الاتحاديين».

وحق ما يقول شيخ الإسلام من أنه ادعتها طوائف كثيرة لشيوخها، قال ابن عربي في الفتوحات: (إنه رأىٰ حائطًا من ذهب وفضة كمل إلا موضع لبنتين إحداهما من ذهب، والأخرىٰ من فضة، فانطبع هو في موضع اللبنتين، قال: وكنت لا أشك في أني أنا الرائي، ولا أني أنا المنطبع في موضعهما وبي كمل الحائط، ثم عبرت الرؤيا بانختام الولاية بي)(١).

وادعتها التيجانية لشيخها الأكبر أحمد، قال أحد أتباعه: (الفصل السادس والثلاثون في ذكر فضل شيخنا، وبيان أنه خاتم الأولياء، وسيد العارفين، وإمام الصديقين وممد الأقطاب والأغواث... إلخ)(٢).

لماذا فضل خاتم الأولياء على خاتم النبيين؟:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (ثم صاحب الفصوص وأمثاله بنوا الأمر علىٰ أن الولي يأخذ عن الله بلا واسطة، والنبي يأخذ بواسطة الملك، فلهذا صار خاتم الأولياء أفضل عندهم من هذه الجهة)(٣) وتقرير ابن تيمية حق، فطيفور البسطامي(٤) يقول لأهل الشريعة وأتباعها: (أخذتم علمكم ميتًا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي

---

(١) نقلًا عن: رماح حزب الرحيم (صـ١٥/ جـ٢) لعمر بن سعيد.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ص(٦٤) رسالة: «حقيقة مذهب الاتحاديين» لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(٤) هو طيفور بن عيسىٰ بن شروسان البسطامي، أبو يزيد، من مشاهير الصوفية، كان جده مجوسيًّا فأسلم، تُروىٰ عنه شطحات كثيرة وأقوال منكرة، ولد سنة (١٨٨هـ)، وتوفي سنة (٢٦١هـ).

[انظر: طبقات الصوفية (صـ٦٧-٧٤)، سير الأعلام (١٣/ ٨٦)]. (ض).

الذي لا يموت)(١)، ويقول: (خضنا بحرًا وقف الأنبياء بساحله)(٢).

وقال ابن عربي: (علماء الرسوم - يعني: أهل الشريعة - يأخذون خلفًا عن سلف إلىٰ يوم القيامة، فيبعد النسب، والأولياء يأخذون عن الله، ألقاه في صدرهم من لدنه رحمة منه وعناية سبقت لهم عند ربهم)(٣).

يعنون: أن الشريعة الإسلامية إنما يأخذها أتباعها عن أناس قبلهم، وهؤلاء عمن قبلهم، حتىٰ تنتهي السلسلة إلىٰ محمد ﷺ، وكل أولئك قد ماتوا، أما الصوفية، فلهم صلات مباشرة مع الله، يأخذون عنه بلا واسطة ملك أو نبي أو رسول!! وبهذا كفروا بشريعة محمد، ومهدوا لأتباعهم الكفر بشريعة محمد، والإيمان بما يفتريه طواغيتهم!!

الذكر الصوفي:

في أعياد الأصنام التي يسمونها موالد، وفي معابد الأضرحة التي يسمونها مساجد، وفي بيوت الدراويش، وقد أتخموا(٤) بطون شيوخهم بالسحت(٥)، وقوت الأرامل؛ في تلك الحمآت يقيم الصوفية حانات الذكر، أو الرقص.

يجلس الشيخ بين صفين من دراويش ودرويشات، ثم يصفق بيديه إيذانًا ببدء

---

(١) ص(٢٤٦) الكواكب الدرية لعبد الرءوف.

(٢) المنادي (صـ٦٣/ جـ٢) جواهر المعاني.

(٣) ص(٢٤٦) الكواكب الدرية.

(٤) ملأوا. (ض).

(٥) الحرام. (ض).

الذكر، ثم يخرج من شفتيه ومنخريه اسم الله ملحدًا في حروفه، والنطق به، ومنشد القوم يطربهم بالغزل الداعر في ليلىٰ أو سعاد، أو بالدفوف والنايات، ثم يهب الشيخ واقفًا، ويهب معه المريدون، وهناك يميلون يَمْنَةً ويَسْرَة مُتَأَوِّدَة أعطافهم تَأَوُّدَ الراقصات، يردن استلاب ما في الجيوب!!

وما هي إلا لحظة حتىٰ تُجَنَّ هذه الأجساد، وتجن ما فيها من رغبات مكبوتة، فتفصح عن نفسها بالتنهيد، والتأوه والتمايل الخليع، والأصوات المنكرة المبحوحة من عويل الشهوة والاستغاثة بزينب، أو نفيسة، لا يريدون زينب الطاهرة، ولا نفيسة العابدة، وإنما يريدون بهما شيئًا آخر، فكل يُغَنِّي علىٰ أنثاه!!

وهكذا يظلون في اقتراف تلك الخطيئة ساعة، أو ساعتين، كلٌّ يريد أن يثبت للعيون الرانية في لهفة، والزغاريد المغازلة في شوق أنه حيوان قوي الجسد!!

وبعد هذا يزعمون أنها كانت من ساعات التجلي!! ولكم باعت أم قوت يتيمها، وزوج ستر امرأته، في سبيل «شيشة» الشيخ، و«حشيش» الدراويش، وهم يرقصون في حانات الذكر!!

أتراني بالغت؟ أم أني قَصَّرْت؟ إخالك تنزع إلىٰ اتهامي بالتقصير، فكل تقع عيناه علىٰ مشاهد الصوفية في حانات ذكرهم، يعربدون حتىٰ يضج منهم الليل!! تقع عيناه علىٰ مشاعل المجوس تتوهج كرغبة الفاجر، وعلىٰ الدفوف بأيدي فتية أسبلوا شعورهم، وقد لمسهم الشيطان بلهيبه، فراحوا يتكسرون علىٰ النغم الشرود، ويهصرون غصونهم علىٰ النظرات الراغبة، وشيخ الطريقة سعيد، لأن شباك فتيته توقع في حبالها الهائمين، هذا يحدث وتراه ونراه، دون أن نسمع النكير عليهم من أحد.

فما هكذا ذكر الرسول ربه، وهو ﷺ سيد الذاكرين، وما هكذا ذكر الصحابة من بعده ربهم، ما ذكره باسم المفرد، ولا ذكروه في ميل وتَأَوُّد، ما ذكروه بقيادة واحد منهم، ينطق بالاسم، وينطقون به وراءه، ما ذكروه ولهم منشد يغازل ليلىٰ وسعاد، ما ذكروه وأصواتهم من ضجيجها تقلق الليل، وتفزع جنباته، ما ذكروه بالنايات والطبول والدفوف، ولكنهم ذكروه كما علمهم رسوله، فسلوا الصوفية من أين جئتم بهذا الذكر؟ جاءوا به من المسيحية، واليهودية.

الذكر الصوفي بدعة يهودية:

فقد جاء في المزمور التاسع والأربعين بعد المائة: (غَنُّوا للرب ترنيمة جديدة، تسبيحة في جماعة الأتقياء، ليفرح إِسرائيل بخالقه، ليبتهج بنو صهيون بملكهم، ليسبحوا اسمه برقص بدف وعود، لِيُرَنِّمُوا... هللوا يا، سبحوا الله في قدسه... سبحوه برباب وعود، سبحوه بدف ورقص، سبحوه بأوتار ومزمار، سبحوه بصنوج الهتاف)⁽¹⁾.

وهكذا يذكر الصوفية، وحسبك أن ترىٰ حانة صوفية يذكرون فيها، لتشهد الصلة الوثيقة بين الذكر الصوفي والبدعة اليهودية.

الشيخ جاسوس القلب:

ويوجب الصوفية علىٰ الدرويش حال الذكر (أن يستحضر شيخه، فالطريقة تحتاج للرفيق، وأن يستمد منه عند الشروع فيه، فيقول: مددك يا أستاذي، وأن يرىٰ أن استمداده منه عين استمداده منه ﷺ، فإنه الواسطة إليه، وأن يستأذن

---

(١) المزامير، العهد القديم. صـ(٦٤١).

شيخه بقلبه، فيقول: دستور يا أستاذي، وأن يستأذن أصحاب الطريق والقدَم، وهم أهل السلسلة، فيقول: دستور يا أصحاب الطريق والقدَم)⁽¹⁾. وهكذا يجب علىٰ المريد قبل أن يذكر ربه، أن يتلطخ بهذه الوثنية، وأن يستأذن كل هذه الوسائط الصنمية حتىٰ يمكن أن يتقبل الله ذكره!!

كيفية الذكر:

(أن يهتز من فوق رأسه إلىٰ أصل قدميه، وأن يبدأ «بلا» يمينًا، ويرجع «بإله» فيتوسط ويختم «إلا الله» يسارًا قبلة القلب، فإن ذكر اسمًا مفردًا كالله، و «هو» ضرب بذقنه علىٰ صدره، وأن يذكر مع جماعة مع رفع الصوت، ويَنْتَعُ الكلمة من سُرَّتِهِ إلىٰ قلبه)⁽²⁾. هذه «البهلوانية» الرعناء، هي صورة الذكر الصوفي، ترىٰ هل كان رسول الله يهتز حين يذكر ربه، يهتز من فوق رأسه إلىٰ أصل قدميه، أو يضرب بذقنه صدره؟

أما رفع الصوت: فالله تعالىٰ يقول: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠].

صيغ الذكر الصوفي:

من **آداب المريد**: (أن يذكر ما لقنه له أستاذه، فلا يتجاوزه إلىٰ غيره)⁽³⁾.

---

(١) انظر صـ(٢٨) وما بعدها من رسالة لأحمد عبد المنعم الحلواني، صـ(٨٦) من رسالة: «منحة الأصحاب» لأحمد بن عبد الرحمن الشهير بالرطبي.

(٢) نفس الصفحات من المصدرين السابقين.

(٣) ص(٣٠) رسالة لأحمد عبد المنعم الحلواني.

لهذا تعددت صيغ الذكر عند الصوفية تبعًا لتعدد طرقهم، فجماعة تذكر بالاسم المفرد: «الله»، وجماعة: «حي حي»، وجماعة: «هو هو»، وجماعة: «أه أه»، وكل شيخ يحرم علىٰ أتباعه أن يذكروا بما تذكر به الطرق الأخرىٰ، بل اسمع إلىٰ ابن عطاء الله السكندري يؤكد أن بعض أسماء الله لا ينفع الذكر بها في بعض الأحوال، بل ربما يوقع في الضرر: (اسمه تعالىٰ «الباعث» يذكره أهل الغفلة، ولا يذكره أهل طلب الفناء!! اسمه تعالىٰ الْعَفُوُّ يليق بأذكار العوام؛ لأنه يصلحهم، وليس من شأن السالكين إلىٰ الله ذكره، اسمه تعالىٰ المَوْلىٰ، ولا يذكره إلا العباد؛ لاختصاصهم به، فإن ذكره مَن فوقهم فهو بمعنىٰ آخر، اسمه تعالىٰ الغافر يُلَقَّنُ لعوام التلاميذ وهم الخائفون من عقوبة الذنب.

وأما من يصلح للحضرة؛ فذكر مغفرة الذنب عندهم يورث الوحشة، اسمه تعالىٰ المتين وهو الصلب وهذا الاسم يضر أرباب الخلوة، وينفع أهل الاستهزاء بالدين)(١).

ويستمر ابن عطاء في سرد هذا البهتان حتىٰ يستوفي أكثر أسماء الله، والله تعالىٰ يقول: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ [الإسراء: ١١٠]، ويقول سبحانه: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فهل تجد رحمًا بين حق القرآن وباطل الصوفية؟! تدبر الآية الأخيرة، ففيها الرد عليهم، وفيها نَعْتُهُم الحق، وفيها الجزاءُ الذي أُعِدَّ لهم.

---

(١) ص(٢٣) وما بعدها كتاب: مفتاح الفلاح، لابن عطاء. ط١٣٣٢هـ.

ذكر رسول الله:

ومن عبير السنة المطهرة يسطع عليك ما يشفي روحك، فقارن بينه وبين ذلك الْيَحْمُوم:

قال ﷺ: «**من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده، مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال، أو زاد عليه**»(١) رواه مسلم.

وقال: «**سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا علىٰ عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شَرِّ ما صنعت أَبُوءُ لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت... من قالها حين يمسي، فمات من ليلته دخل الجنة، ومن قالها حين يصبح فمات من يومه، دخل الجنة**»(٢). رواه البخاري.

وفي الصحيحين، عن ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ يقول إذا قام إلىٰ الصلاة في جوف الليل: «**اللهم لك الحمد، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد، أنت قيَّام السموات والأرض، ومن فيهن، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك الحق، ولقاؤك حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أَخَّرْتُ، وما أسررت وما أعلنت، أنت إلهي، لا**

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الذكر والدعاء، برقم: (٢٩/ ٢٦٩٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) سبق تخريجه.

إله إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك»(١).

أرأيت إلىٰ هذا الذكر النبوي الجامع؟ إنها ضراعة العبودية الخالصة تفتحت لها أبواب السماء، فما فيه ضرب الذقن بالصدر! ما فيه هزة الرأس إلىٰ أخمص القدم!! ما فيه التَّنَاوُحُ يَمْنَةً ويسرة، ما فيه مُنْشِدٌ ولا دُفٌّ ولا شبابة!!.

ما فيه دائرة يقف بينها نُصُبٌ، يميل معه الدراويش حيث يميل!! إنما فيه قلب مؤمن ضارع، يتوجه إلىٰ خالقه الأعظم في إيمان صادق بربوبيته وألوهيته.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الدعوات، برقم: (٦٣١٧)، ومسلم، كتاب: صلاة المسافرين، برقم: (١٩٩/ ٧٦٩)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.